العتبة العباسية المقدسة

الخميس

٣٦٦

السنة السابعة
١٣/ جمادى الأولى / ١٤٣٣ هـ
الخميس ٥/ ٤ / ٢٠١٢ م

أسبوعية ثقافية يصدرها قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

الشيعة على حق ونحن على باطل، وهم يتمسكون باللب ونحن نتمسك بالقشور، هم الذين يجب أن يسموا أهل السنة، لأنهم لم يغيروا ما جاء به محمدﷺ، أما نحن فاتبعنا سنة غيرهم.

أقولها وبكل صراحة: إن الحق هو اتباع أهل البيت الذين أوصى النبيﷺ بالتمسك بهم فقال: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما). وقالﷺ: (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك).

آه وا أسفاه على ماضٍ كنت فيه مغمضة العينين، أمشي مع أقراني وقومي وهم على طريق الضلالة. ولكن الحمد لله الذي هداني بفضل هذه الفتاة المؤمنة الصادقة النية، وليهنأ وليعتز بنفسه كلُّ شيعي؛ فهو الذي يتمسك بالعروة الوثقى وهو من الفرقة الناجية التي حدث عنها رسول اللهﷺ.

انتهيت من قراءة الكتب وقد تشيعت تماماً، وطويت صفحة الأيام الماضية، وقررت أن أبدأ من يومي هذا حياة جديدة.

المستبصرة لمياء حمادة

د. إحسان الغريفي

هل تعلم سرَّ وجودك؟!

لم يخلق الله تعالى الإنسان عبثاً، بل خلقه لهدف، ومن نِعَم الله علينا أنَّ الله تعالى أخبرنا عن الغاية والغرض من خلق الإنسان، لأنَّه إنْ لم يخبرنا بذلك لكنَّا نحتار في معرفة السبب، ولذهبت بالناس الظنون يميناً وشمالاً، ولكن الله المنعم المتفضل علينا أخبرنا بذلك في كتابه الكريم، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، فصيغة الاستثناء المفرغ في اصطلاح النحاة كما في هذه الآية الكريمة تفيد معنى الحصر، أي: إنَّ السبب الوحيد في خلق الجن والإنس هو ليعبدوا الله فقط. فالهدف من وجودنا في الحياة هو عبادة الله تعالى، فإذا طَبَّقْنَا أحكام الله تعالى في المعاملات والعبادات أصبنا الهدف الَّذي هو سرَّ وجودنا في هذه الحياة، وتيسرت لنا سُبل الحياة السعيدة، وقد سنَّ لنا أئمة أهل البيتعليهم السلام طريقة تدريب أطفالنا على العبادة؛ فروي عن أبي عبد اللهعليه السلام أنَّه قال: (إذا بلغ الغلام ثلاث سنين فقل له سبع مرات: قل: «لا إله إلا الله»، ثم يترك حتى يبلغ ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرين يوماً، ثم يقال له: قل: «محمد رسول الله» سبع مرات، ويترك حتى يتم له أربع سنين، ثم يقال له: سبع مرات قل: «صلى الله على محمد وآل محمد»، ويترك حتى يتم له خمس سنين، ثم يقال له: «أيهما يمينك وأيهما شمالك»، فإذا عرف ذلك حوّل وجهه إلى القبلة ويقال له: «اسجد»، ثم يترك حتى يتم له ست سنين، فإذ تم له ست سنين قيل له: «صل وعلم الركوع والسجود» حتى يتم له سبع سنين، فإذا تم له سبع سنين قيل له: «اغسل وجهك وكفيك» فإذا غسلهما قيل له: «صلِّ»، ثم يترك حتى يتم له تسع سنين، فإذا تمت له علم الوضوء وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها، فإذا تعلم الوضوء غفر الله لوالديه إن شاء الله).

الصِّدق.. وجوبه وموارد استثنائه

الصدق في اللغة: المطابقة ويقابله الكذب وهو: اللا مطابقة. وكثر استعماله في مطابقة الكلام الإخباري للمخبر به، أو لاعتقاد المخبر أو لكليهما، بل قد قيل: إن هذا هو معناه الحقيقي وغيره مجاز، ويستعمل الصدق في الاعتقاد المطابق للواقع وفي الفعل الموافق للقول، وفي كل فعل خارجي إذا وقع على النحو الذي يترقب ويليق. فيقال: صدق في ظنه، وصدق في وعده، وصدق في قتاله وعطائه.

والصديق: كثير الصدق أو من لم يكذب قط، أو من لا يقدر على الكذب إلا بعسر؛ لاعتياده بالصدق. والصديقون: قوم من الناس يتلون تلو الأنبياء كما قيل. والمراد بالبحث هنا: الصدق في الكلام أو ملكة الصدق فيه. ويقع الكلام في غيره أيضاً بالمناسبة.

وقد ورد في الكتاب الكريم أن ﴿هَـذَا يَـوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (المائدة: ١١٩) أي: صدقهم فيما اعتقدوا وتكلموا وعملوا. وقال تعالى: ﴿رِجَـالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣) وهذا صدق في العمل على طبق العهد.

وورد في النصوص: أن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة، أي: كان النبي المبعوث متلبساً بالصدق في كلامه، أو أن وجوب الصدق في الحديث كان من أحكام شريعته. وورد أنه: لا تغتروا بصلاة الرجل وصيامه حتى تختبروه بصدق الحديث. وأنه: يجب تعلم الصدق قبل الحديث، أي: قبل مطلق الكلام، أو قبل نقل الرواية عن أهل البيت عليهم السلام. وأن علياً عليه السلام بلغ ما بلغ به عند النبي الأعظم بصدق الحديث.. فيجب على كل أحد أن يلتزم به. وأن الصادق في القول أول من يصدقه الله تعالى حيث يعلم أنه صادق، ثم تصدقه نفسه فيعلم أنه صادق. وأن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً، أي: من الصادقين. (الكافي: ج٢، ص١٠٤ وما بعدها)

وأن: من صدق لسانه زكى عمله (الكافي: ج٨، ص٢١٩).

وأن زينة الحديث الصدق، وأن الأحسن من الصدق: قائله، وأنه: ألزموا الصدق فإنه منجاة. وأنه: ثلاث يقبح فيهن الصدق: النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه، وتكذيبك الرجل عن الخبر. وأن المسلم إذا سئل عن مسلم فصدق وأدخل على ذلك المسلم مضرّةً كتب من الكاذبين، وإذا كذب فأدخل عليه منفعة كتب عند الله من الصادقين (بحار الأنوار: ج٧١، ص٩ وما بعدها).

وأنه: يحرم الصدق ويجب الكذب عند التقية، وقد ذكر في بابها.

تسبيح الزهراء عليها السلام .. تحفة إلهية

إعداد /منير الحزامي

يعتبر تسبيح الزهراء عليها السلام سر من الأسرار العجيبة التي استودعها الله سبحانه الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو من أفضل التعقيبات بعد الصلاة، وقبيل النوم، وفي زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد تواترت الأحاديث في فضله وعلو شأنه وعظمته...

فعن الباقر عليه السلام: ما عُبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة، ولو كان شيء أفضل منه لنحلهُ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام. (وسائل الشيعة: ٤، ١٠٢٤).

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه فإنّه لم يلزمه عبد فشقي.

وتذكر الروايات المعتبرة أنّ الذكر الكثير المأمور به في القرآن الكريم هو هذا التسبيح، ومن واظب عليه بعد الصلوات فقد ذكر الله ذكراً كثيراً وعمل بهذه الآية: ﴿واذْكُروا اللّه ذِكْراً كَثيراً﴾.

وقد بينت الروايات الشريفة ثواب وأجر الإتيان بهذا التسبيح، فعن أبي عبد الله عليه السلام يقول: تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم). (الكافي كتاب الصلاة ٣٤٣).

وعنه عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض. (الكافي: ٢، ٥٠٦).

وقد روى المجلسي رحمه الله في البحار قصة التسبيح، فقال: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أرسل بعض ملوك العجم عبيداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت لفاطمة: اذهبي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واسأليه أن يعطينا خادماً ليساعدك في أعمال المنزل. فذهبت فاطمة عليها السلام إلى الرسول صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها: تكبرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بـ (لا إله إلا الله)، وذلك خير لك من الذي أردتِ ومن الدنيا وما فيها، فلزمت (صلوات الله عليها) هذا التسبيح بعد كل صلاة، ونُسب إليها. (البحار: ٨٥، ٣٣٦).

وقد جاء في شرح معنى أذكار هذا التسبيح المقدس أن:

- الله أكبر: يعني أنه أكبر وأجلّ من أن يوصف، ولا يجوز قول أنه أكبر من كل شيء لئلا يُحدّد الله عزّ وجلّ.
- الحمد لله: يعني الشكر والمدح والثناء.
- سبحان الله: يعني تنزيه الله سبحانه من كل صفة غير محمودة.

وقد ذكر علماؤنا الأعلام شروطاً لهذا التسبيح المبارك ينبغي الالتزام بها حتى تتم الفائدة المرجوة منه، ومن جملة هذه الشروط:

١- التوجه والخشوع: فالخشوع شرط مهم في جميع العبادات، وفي تسبيح الزهراء عليها السلام مؤكد، وإلا أصبح لقلقة لسان لا يستفيد الشخص من بركاته.

٢- المباشرة بالتسبيح بعد الصلاة: بأن يأتي به مباشرة بعد الفراغ من الصلاة باقياً على استقباله للقبلة تاركاً للكلام والتلفت.

٣- الموالاة في التسبيح: بأن لا يفصل بين الأذكار وهذا سرٌ من أسرار هذا التسبيح المبارك.

ومن نافلة القول ما ورد في الصحيح عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: لا يخلو المؤمن من خمسة: سواك، ومشط، وسجّادة، وسبحة فيها أربع وثلاثون حبّة، وخاتم عقيق.

اللهم صل على فاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها، والسر المستودع فيها، عدد ما أحصاه كتابك، وأحاط به علمك.

ثواب الأعمال

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

من أكثر قراءة ﴿قُل أُوحِيَ إليَّ﴾ (سورة الجن) لم يصبه في الحياة الدنيا شيء من أعين الجنّ، ولا نفثهم، ولا سحرهم، ولا من كيدهم، وكان مع محمد صلى الله عليه وآله.

(ثواب الأعمال: ١٤٩)

وعقاب الأعمال

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

قال الله (عزوجل): ليأذن بحرب مني مَن أذل عبدي المؤمن، وليأمن من غضبي مَن أكرم عبدي المؤمن.

(عقاب الأعمال: ٢٨٣)

التشكيك في العقائد.. منهج خطير

إعداد /منير الحزامي

قد يظن البعض أن التآلف والمماشاة مع غير الشيعة -وهم إخواننا في الدين- يعني رفع اليد عن عقائدنا الشيعية.. ولقد سعى البعض -جهلاً أو عمداً- تحريف عقائد الشيعة، التي عانى أصحاب الأئمة ﷺ وعلماؤنا المصاعب الجمة طوال الأزمنة للحفاظ عليها، وهي أساس التشيع.

إن هؤلاء يحرفون أولئك الشباب الذين لا اطلاع لهم ولا فحص لديهم في حقائق المسائل الدينية وتاريخ الإسلام، ولا معرفة لديهم بالمباني والأسس التي يجب أن تؤخذ منها المطالب والعقائد الحقة. إن هؤلاء المضلين يتحدثون بأمور لمجرد أن يستسيغها ويتقبلها أولئك الشباب غير المطلعين، وبدلاً من أن يبينوا الحقائق ليتعلم منها شباب الشيعة فإنهم يحرفون شباب الشيعة أنفسهم!!

إن طريقة ترويج مذهب الشيعة كانت قائمة على بيان الحقائق وفي كل فرصة مناسبة باللسان اللين وبالأسلوب الأمثل، أما في المواضع التي لا تكون كذلك؛ فإن الواجب هو الإمساك والتحرز عن التحدث.. وهؤلاء المضلون بدلاً من أن يوصلوا عقائد الشيعة ويبينوا أدلتها فإنهم يلقون هؤلاء الناس المساكين في الضلالة.

إن قضية التشيع وما يقوله الشيعة واضحة جداً، فلو كان لأي شخص وصية ما فإن وصية رسول الله ﷺ باتفاق الفريقين هي: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)، ونحن نأخذ فيما يرجع إلى الإسلام من الأئمة ﷺ.

ومن الأدلة القاطعة للشيعة، التي لا مجال للخدش فيها، هو ما يتعلق بفاطمة الزهراء ﷺ، فإن لها مقام ومنزلة رفيعة عند الله (عز وجل)، فقد روى الشيخ الكليني(قدس) في الكافي بسند صحيح إن جبرائيل ﷺ كان ينزل بعد رسول الله ﷺ على فاطمة الزهراء ﷺ، وكان يحدّثها بما سيجري على ذريتها، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يكتب ذلك. (الكافي ج١ ص٢٤١ ح٥).

ولقد أكثر رسول الله ﷺ من الوصية بابنته، ولكن هذه البنت توفيت بعد خمسة وسبعين يوماً من وفاة أبيها، ودفنوها في الليل، وغسلوها في الليل.. فماذا حدث في هذا الظلام؟! فلو كان للمودة في القربى قدر متيقن فهو فاطمة الزهراء ﷺ، فما الذي حدث بحيث دُفنت في الليل وأخفي قبرها؟! إن هذا آية للجميع، فقد تم على أساس الحكمة، ففاطمة ﷺ أوصت بذلك في وصيتها وعمل أمير المؤمنين ﷺ بتلك الوصية بحذافيرها، وهذا العمل إنما كان لغرض إقامة الحجة على الأجيال اللاحقة لكي تفكر في ذلك، ولماذا كان قبرها مخفياً؟.. فالكليني ينقل رواية صحيحة عن الإمام موسى بن جعفر ﷺ: «إن فاطمة صديقة شهيدة». (الكافي ج١ ص٤٥٨ ح٢).

إن الزهراء ﷺ كانت تبين مقام علي بن أبي طالب ﷺ، وكانت تقول إن بَعلي قدم الخدمات الجليلة للإسلام، وأخبرت أن الحق معه... ولاحظوا في تلك الرواية التي رواها الكليني (ج١، ص٤٥٨) أن مولانا أمير المؤمنين ﷺ عندما دفن الزهراء ﷺ حوّل وجهه نحو قبر رسول الله ﷺ وقال: «قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري...»، فعلي ﷺ الذي صبر خمساً وعشرين سنة، وهو الذي قال: «صبرتُ وفي العين قذى، وفي الحلق شجى»، وهو الذي صبر في القتال والجهاد، يقول بعد وفاة فاطمة الزهراء ﷺ: «قلَّ يا رسول الله صبري»؟!

ثم يقول في نفس هذه الرواية: «وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها»، لقد فسروا الهضم بالظلم، والهضم في أصله بمعنى النقص، وعندما ينقصون شيئاً من شخص فهذا ظلمٌ له، والنقص تارة يرد على الحق فيقال هضمها حقها كما في غصب فدك، ولكن الهضم هنا لم يكن كذلك، فقد أسند الهضم هنا إلى نفس الزهراء ﷺ، فإذا ضممنا هذا إلى قول ولدها موسى بن جعفر ﷺ: «فاطمة صديقة الشهيدة»، فماذا ستكون النتيجة؟!

ولكن ظهر أشخاص ينكرون شهادتها ﷺ، وهذا يعني أنهم ينكرون قول موسى بن جعفر ﷺ من أنها صديقة شهيدة، فاحذروا ونبّهوا غيركم! إن أساس الدين قائم على التبليغ، وعليكم أن توصلوا هذه الأمور التي ذكرناها إلى الناس، وأن تظهروا الحزن على فاطمة الزهراء ﷺ، وأن تذكروا مصائبها لأنها تذكر فيما بيننا وفي مجالسنا الخاصة، فالموالون صفتهم أنهم: «يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا».

آيات الله..تدبر بها

النمل

من كلام لإمامنا جعفر الصادق ﷺ للمفضل بن عمر (رحمه الله):

يا مفضل... أنظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت، وإعداده، فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب إلى زُبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله.

أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحب فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف، ثم لا يتخذ النمل الزُبية إلا في نشز من الأرض، كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكل هذا منه بلا عقل ولا روية، بل خلقة خُلق عليها، لمصلحة من الله (جل وعز).

(توحيد المفضل، ص ٦٥)

يجدونه مكتوباً عندهم

الحلقة الرابعة

إعداد / السيد أبو رضا

إن قولهم إن النبيﷺ الذي أشار إليه النص التوراتي هو المسيحؑ، هذا القول لا يستند إلى أي دليل، بل هو مخالف للحقيقة. أما سيدنا محمدﷺ، فقد كان مثل موسىؑ، فهو صاحب شريعة، وهو بلَّغنا كلام الله تعالى، وجاء بمعجزات، وكل ما تحدث به تحقق.

وعلى سبيل المثال عندما كانﷺ في بداية الدعوة وكان المسلمون في أضعف مراحل حياتهم، أخبرهم بأن الإسلام سينتشر في كل مكان فقال: (سيبلغ هذا الأمر -أي الإسلام- ما بلغ الليل والنهار)، والسؤال: هل تحقق هذا الكلام؟ هل انتشر الإسلام في كل مكان على وجه الأرض؟ تقول الإحصائيات الحديثة والموثوقة: إن الإسلام هو الدين الأكثر انتشاراً والأسرع نمواً على مستوى العالم، فهو الدين الوحيد الذي ينتشر في كل دول العالم، وسيكون الإسلام هو الدين الأول عام ٢٠٢٥ وتكون نسبة المسلمين في العالم بحدود ٣٠٪ بينما نسبة المسيحيين لن تتجاوز ٢٥٪. وذلك حسب المرجع البريطاني (Sato Tsugitaka، Muslim Societies، Routledge، UK، ٢٠٠٤).

إن النبيﷺ جاءنا برسالة من عند الله، وكل كلمة في القرآن هي كلام الله، فلنفرض أنه كان كاذباً، فهل يعقل أن تستمر دعوته وكذبه -حاشى لله- أربعة عشر قرناً وينتشر دينه بهذا الشكل الكبير؟! هل هناك رجل في التاريخ كله افترى على الله كذباً وادعى أنه رسول من عند الله وجاء بكلام يدعي أنه من عند الله، هل يوجد مثل هذا الرجل في التاريخ تستمر دعوته، أم أن الله يظهر كذبه؟!

أليس الكتاب المقدس هو الذي يقول: (وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ)، هل مات النبي محمدﷺ وانتهى ذكره أم أن ذكره لا زال باقياً بعد وفاته إلى يوم القيامة؟ إذن منطق الكتاب المقدس يؤكد أن النبي الكاذب لن يستمر ولن تنتشر دعوته، وبما أن محمداًﷺ يعيش في قلب كل مسلم حتى يومنا هذا، فهذا دليل من الكتاب المقدس نفسه على صدق رسالة محمدﷺ إلى الناس جميعاً!

وقد جاء هذا النبي بكلام مشابه من عند الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ الصف: ٩.

والسؤال: هل ظهر دين الإسلام وانتشر وأصبح الديانة الأكثر انتشاراً في العالم أم لا؟ إذن كل ما حدَّث به النبي الأميﷺ تحقق بالكامل، إذن حسب منطق الكتاب المقدس يمكننا القول وبثقة تامة إن النبي محمدﷺ هو النبي الذي أشار إليه الكتاب المقدس في النص السابق.

ومن حكمة الله تعالى أن الذين حرفوا الكتاب المقدس لم ينتبهوا لهذه العبارة، ولم يدركوا الإشارة الخفية التي تحملها، ولذلك لم يخطر ببال أحدهم أن هذه الإشارة ستكون حجة عليهم واعترافاً منهم بأن محمداًﷺ رسول الله وهم لا يشعرون!!!

وصدق الله عندما يقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الأعراف: ١٥٨.

إعداد / أحمد السيلاوي

هذه القصة عجيبة لشاب مذنب، نال الموفقية والهداية من خلال العزاء الفاطمي، حيث سمع هاتفاً من الغيب يقول له: (انهض يا محمّد، فقد حان وقت الصلاة)، فألقي في روعه أن الصديقة الزهراء ﷺ هي التي هتفت به، وأن ذلك دليل قبول توبته وإليكم القصة وعبرتها..

كانت ليلة عجيبة، إذ كنت أرى الشباب الموالين مرتدين الملابس العزاء في الظلام وينادون باسم فاطمة ﷺ، وكانوا بكل وَلَه يلطمون على الرؤوس والصدور.. وكانت تلك المرة الأولى التي أشترك فيها في مجلس العزاء على المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).. وقفتُ جانباً، ورحتُ أفكر في ذكريات الماضي أربع وعشرون سنة وأنا في مستنقع الغفلة، بعيداً عن ذكر الله وسائر القضايا الروحية والمعنوية، فما أفظع تلك السنين المظلمة..

ولكن قبل يومين فقط تشرفتُ بلقاء أحد أولياء الله سبحانه، وطلبت منه أن يعينني على الخروج من هذه الغفلة، والعودة إلى ربي الرحيم، فبيّن لي طريق التوبة وكيفية الحصول على غفران الرب، وفي تلك اليومين -وعلى عكس أيام العمر كلها- كنت دائم التفكير في كيفية الحظوة برضا الله سبحانه وقبوله توبتي، كما استولت على وجودي حالة بين الخوف والرجاء، فهل كان من الممكن حقاً أن يزاح من أمامي جبل الذنوب ويتهاوى الجدار الفاصل بيني وبين خالقي ؟!

كانت تلك المرة الأولى التي دعوت فيها الله وسألته العفو والرحمة بعين باكية، وأعادني حماس العزاء إلى وعيي مرة أخرى، ورحت أفكر في الأسباب التي تمنعني دون أكون مثل هؤلاء المعزين.. وقلت في نفسي: أليست الزهراء هي أمي وأم الشيعة جميعاً؟ ثم تحاملت على نفسي وانشغلت معهم بالعزاء، وبدأت ألطم على رأسي وصدري، ولكنني كنت منزعجاً بسبب معرفتي بأن ما أقوم به لا ينبع من صميم قلبي، فرحتُ أتوسل بالإمام صاحب الزمان ﷺ، وناديته بكل إخلاص: سيدي! إن مجلس العزاء هو مجلس أمك الزهراء، فتفضل عليّ باستشعار حلة الحزن الحقيقي لكي أشترك بالعزاء بكل صدق..

فانبعث في قلبي شيء من الحماس وألم على رأسي وصدري بقلب مفجوع، بل وشعرت أنني لوحدي أقوم بمراسيم العزاء.. وأكرر صرخة (يا فاطمة، يا فاطمة).. ولم أنتبه إلى ما استغرقه المجلس من الوقت.. ولكنه انتهى على أية حال، وكنت عاجزاً عن منع دموعي عن الهطول.. نعم لقد أصبحت أنا أيضاً من المعزين بمصيبة السّيدة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ وبعد انتهاء مراسم العزاء توّجهت مباشرة إلى الحرم الطاهر للإمام الرضا ﷺ، وبعد أداء الزيارة بدأت أهمس مع نفسي وأقر للإمام الرضا ﷺ رثاء الزهراء ﷺ.. فشعرت أن الإمام ﷺ يبكي معي، ثم قفلت راجعاً إلى البيت، وكأنني كنت أحلّق في الفضاء، وامتلأ قلبي بطراوة لم أكن أعرفها من قبل.. فهل حقاً تقبل الله توبتي بعد مشاركتي في مراسم العزاء الفاطمي؟!

وفي جوف الليل وقبل النوم رحت أبكي وأكثر من الإلحاح في طلب التوبة، وكنت متأكداً أن قلبي لن يحظى بالاطمئنان حتى أرى ما يشير إلى قبول توبتي.. واستيقظت من النوم في منتصف الليل على صوت غاية في العطف والرحمة يقول: (يا محمّد، يا عزيزي، انهض، فقد حان وقت الصلاة)، ولكنني لم أنهض من مكاني، حتى سمعت الصوت مرة أخرى -وكان يأتي من خارج الغرفة- (حان وقت الصلاة)، وكان الصوت يشبه صوت أمي، ولكنه كان أكثر حناناً، ويمتاز بالنفوذ القاطع وحتى استشعرت اللذة تغمر وجودي.. فهبطت إلى ساحة البيت لأسبغ الوضوء، ولكن العجب تملكني، إذ رأيتُ أبي وأمي نائمين في الغرفة الواقعة على الجانب الآخر من ساحة البيت، بل إن الباب التي تفصل البيت عن ساحته كانت مقفلة.. فألهمت بأن الصوت كان صوت سيدّتي الزهراء ﷺ، وهو الدليل على ماكنت أطلب وأرجو من التوبة.. فانقلبت حالتي وتوضأت وتوجهت إلى غرفتي، ثم شعرت بأن حالة من المعنوية والوقار الذي لم أعهده من قبل قد شملني، ووقفت مستعداً للصلاة، وبدأت أردد عبارات الأذان، ورددت معي جميع خلايا بدني كما هي روحي، وتلك العبارات، واستولت على حالة عجيبة حينما بدأت الصلاة، وكأن الله تعالى يستقبلني وقد أزيحت كافة الفواصل المتراكمة منذ سنين، وتفتحت شهيتي للمعنويات، وتذوقت حلاوة قراءة سورة الحمد وامتلأ فمي بها..

نعم، لقد قبلت توبتي بعد ثلاثة أيام من اعلاني لها بشفاعة أمي فاطمة الزهراء ﷺ وبسبب مشاركتي الصادقة والخالصة في مراسم العزاء الفاطمي.. رغم ذنوبي العظيمة وقذارة روحي السابقة، وانطلقت بكل وجودي إلى التحليق نحو المعنويات وانعتقت من قيود الغفلة والذنوب..

إنجازات الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى

إعداد / السيد محمد العطار

إن سيرة الإمام المهدي عليه السلام وتحركاته في غيبته الكبرى تتمحور حول هدف التمهيد لظهوره والمساهمة في إزالة العلل الموجبة لغيبته، وعليه يمكننا القول بأنه يعمل في سبيل ترشيد الأمة واستجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبة; وفي سبيل إيصال الحق إلى الجميع ودعم وتأييد العاملين من أجل نشر الإسلام النقي وحفظه، وهو يرعى عملية التمييز والتمحيص الإعدادي لجيل الظهور، ويكشف فشل المدارس الأخرى وعجزها عن تحقيق السعادة المنشودة للبشرية، ويساهم في حفظ روح الرفض للظلم ويحبط المساعي لقتلها. إنه عليه السلام يقوم بكل ذلك ولكن بأساليب خفية غير ظاهرة قد يتضح الكثير منها عند ظهوره كما يتضح دوره عليه السلام في الكثير من الحوادث الواقعة التي تصب في صالح تحقق الأهداف المتقدمة والتي لم تُعرف أسباب وقوعها أو أنّ ما عُرض من الأسباب لم يكن كافياً في تفسيرها.

رعايته للكيان الإسلامي:

يقول الإمام المهدي عليه السلام في رسالته الاولى للشيخ المفيد رحمه الله: (... فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثيرمنكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء).

إن الإمام عليه السلام يتابع أوضاع المؤمنين ويحيط علماً بالتطورات التي تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التي يتعرّضون لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها، وهذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام واستمرار وجودهم وتناميه على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التصفوية التي عرضوا لها والإرهاب الفكري الحاد الذي مورس ضدهم لقرون طويلة. فهذه التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التي شهدها التأريخ الإسلامي كانت قادرة ولا شك على إنهاء وجودهم جسدياً وفكرياً لولا الرعاية المهدوية.

حفظ الإسلام الصحيح وتسديد العمل الاجتهادي:

إنّ الإمام المهدي عليه السلام يقوم أيضاً في غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقي الذي يحمله مذهب أهل البيت عليهم السلام. وهذه المهمة من المهام الرئيسة للإمامة، ومن مظاهر قيامه عليه السلام بها في غيبته تسديد العمل الاجتهادي للعلماء والفقهاء ومنع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأخرى; لأن هذه الآثار والنصوص في الأحكام موجودة مع مَن لا يستحيل منه الغلط والنسيان، ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان. وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلاّ بوجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكّرهم أو كتموا، علم الحق من دونهم.

وإمام الزمان عليه السلام وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحق لما وسعته التقية ولأظهره الله سبحانه ومنع منه إلى أن يبين الحق وتثبت الحجة على الخلق).

والمقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء وبالمقدار اللازم لتبيان الحق، وهذه من القضايا التي بحثها العلماء في باب الإجماع، فمثلاً يقول العلامة السيد محمد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول: (... البناء على قاعدة اللطف التي لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقضي ردهم لو اتفقوا على الباطل فإنه من أعظم الألطاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهرة فبالأسباب الخفية)... إن وجود الإمام عليه السلام في زمن الغيبة لطف قطعاً; فيثبت فيه كل ما أمكن; لوجود المقتضي وانتفاء المانع. وإن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقى بعده بمقتضى الأصل (إضافة إلى) أن النقل المتواتر قد دل على بقائه.

وقد ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بألفاظ ومعان متقاربة، فعن النبي صلى الله عليه وآله: (إنّ لكل بدعة يُكاذب بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه ويعلن الحق ويرد كيد الكائدين)، وعنه صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام: (إن فيهم في كل خلف عدولاً ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

تحرير: السيد محمد العطار / منير الحزامي
تصميم وإخراج: أحمد السيلاوي
دار الضياء للطباعة - النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زوروا موقعنا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا . الهاتف / بدالة ٣٣٢٦٠٠ داخلي ١٦٣